ٱلْخَوْفُ ٱلْمُتَبادَلُ
بَيْنَ ٱلْإِسْلامِ وَٱلْغَرْبِ

تأليف : التجاني بولعوالي
عنوان الكتاب : الخوف المتبادل بين الإسلام والغرب
نحو مقاربة تأصيلية وتفكيكية لظاهرة الإسلاموفوبيا
رقم الإيداع القانوني :2021MO1671
ردمك :3 - 62 - 740 - 9920 - 978
أفريقيا الشرق – المغرب
159 مكرر، شارع يعقوب المنصور – الدار البيضاء
الهاتف :04 95 25 22 05 – 13 98 25 22 05
الفاكس:20 29 25 22 05 – 80 00 44 22 05
مكتب التصفيف التقني :39، زنقة علي بن أبي طالب – الدار البيضاء.
• الهاتف:54 / 53 67 29 22 05
• الفاكس:72 38 48 22 05
البريد الإلكتروني : africorient@yahoo.fr
www.afrique-orient.com

التجاني بولعوالي

اَلْخَوْفُ ٱلْمُتَبادَلُ
بَيْنَ ٱلْإِسْلامِ وَٱلْغَرْبِ

نحو مقاربة تأصيلية وتفكيكية
لظاهرة الإسلاموفوبيا

أفريقيا الشرق

"أنا خائفة من اللا تسامح الذي أشاهده في بعض الأحيان. أنا خائفة من انفعالي الذي يكبر عندما لا تمضي الأشياء كما أريد. أنا خائفة من الإنسان عندما لا يكون صالحا ولطيفا، وعندما ينسى احترام الآخر ويصبح مفتريا وعنيفا كذلك. أنا خائفة أيضا وبشكل أساس من المتلاعبين الذين يستغلون الشباب المثالي من أجل مصالحهم الشخصية الخاصة.

لكن الخوف من الإسلام لا، أنا لم أعد خائفة منه".[1]

1- Clara Sabinne, Mon fils s'est converti à l'Islam même pas peur…, (Paris: La boîte à Pandore, 2014), p. 138-139

مقدمة

لقد أصبحتُ أومن أكثر ممّا مضى بأن ما يحصل اليوم للمسلمين لا يمكن أن نعتبره قدرا أبديا، فنرْكُنُ إلى جدار الانتظار، كما فعلت المرجئة قديما، وتكرر بعض الحركات الإسلامية "السلبية" حديثا. وهذا يعني أنه لا بد من أن نتخلص من الرقدة الطويلة التي نحن فيها، غير أنه كيف السبيل إلى ذلك؟

إن الانتقال بالإسلام من حال التقوقُع الذاتي والتكالُب الخارجي إلى حال التفتح الذاتي والتفاعل الحضاري لا يتحقق إلا بتكاثف الجهود على شتى الأصعدة، وبذل التضحيات من قبل مختلف شرائح المجتمع المسلم، والتسلح بقيم الصبر والإخلاص والعزة والاحترام والتعاون، وهي كلها قيم متجذّرة في الذات المسلمة، غير أننا لم نفلح بعد في ترجمتها على أرض الواقع ، كما صنع أجدادنا قبل قرون طويلة، لذلك فإن المقام يقتضي استحضار تلك الروح الجيّاشة التي كان يتحلى بها الأجداد، ليس للبقاء هناك في الماضي؛ ماضيهم، وإنما للانطلاق بها إلى المستقبل، دون صرف النظر عن تجارب الشعوب المعاصرة التي كانت في الأمس القريب تتلقى العلم والمعرفة منا، وأصبحت اليوم تُلقننا ما تعلمته منا قبل قرون، وقد كُتب على ذاكرتنا العلمية والفلسفية أن تعتريها الغيبوبة وينخرها النسيان!

ولعل اليقظة من رقدتنا الذاتية وانكماشنا الحضاري من شأنها أن تُعزّز دورنا من جديد في التاريخ المعاصر، وتخفف أو تبدد آفة التكالب التي تمارس على جسدنا الجغرافي والرمزي المُعنّى. يقينا إن التحديات الخارجية تكتسحنا من كل حدب وصوب، غير أننا نملك واقعنا الذي يمكن أن ننمّيه ونرقى به فنكتفي بذاتنا، بالضبط كما تصنع ساكنة الواحة النائية التي تؤمن بأن القدر ألقى بها في بطن

الصحراء المقفرة والقاتلة، غير أنها لا تركُنُ إلى سلطة المكتوب والنسيان كما يصنع الكثيرون منا، وإنما تجهد وتجتهد في مواجهة شراسة القفار وامتداده. ولا تلعن القدر كما يصنع الكثيرون منا، بل تُشعل شمعة لتبديد الظلام، وتغرس نخلة لمواجهة الرمال.

وهكذا، فإذا كانت ساكنة الواحة النائية في صراع دائم مع الصحراء القاسية، فإن الشريحة المسلمة المغتربة في صراع دائم مع صحراء من طينة أخرى؛ إنها صحراء السياسة والإعلام والدعاية التي لا تسبّب جفاف الأرض والتربة، بل جفاف السلوك والأخلاق. ولعل هذا ما دعاني إلى امتطاء صهوة البحث، ليس عن حقيقة ما يحصل للإسلام في الغرب، وإنما في حقيقة ما يحصل، والفرق بين حرفي الجر (عن) و(في) فرق شاسع نحويا وبلاغيا ودلاليا، تماما مثل الفرق الكائن اليوم بين الغرب والإسلام. والسؤال الذي ينبغي أن يُطرح لا يتعلق بكيفية تجاوز هوّة هذا الفرق بين عن وفي، وبين الغرب والإسلام، بل بكيفية فهم هذه الهوة وذلك الفرق، لأنه في غياب الفهم العقلاني المتوازن لما يجري، لا يمكن أن نحقق تجاوزا حقيقيا ليس لاختلافاتنا، بل لخلافاتنا! لأنّ سؤال التجاوز آني ومادي وبرغماتي، في حين أن سؤال الفهم أبدي ومعنوي وأخلاقي.

ويكاد يُعقد شبه إجماع حول أن الصراع ينتعش دوما في البيئة التي يحكمها الجهل بالذات والواقع والآخر والحقوق والواجبات، وتغيب فيها المعرفة بالأخلاق والقوانين المنظمة لتلك المجهولات من العناصر. وهذا ما قد ينطبق على علاقة الإسلام بالغرب، التي يحكمها محدد التباعد، كلما هيمن الجهل المتبادل، الذي تتولّد عنه سلوكات ومشاعر متبادلة، كالخوف مثلا كما سوف نرى لاحقا في هذا الكتاب، ويحكمها محدد التقارب، كلما تبدّد الجهل وحلّت محله المعرفة التي تزرع الثقة في النفوس والأمن في المجتمع.

ثم إن الغرب كما نفهمه لا يشكل كُلاّ موحدا ومتجانسا، بل كلا مجزّءا ومتنوعا. لذلك فإن شكّنا الفلسفي موجه إلى الغرب الإيديولوجي لا الحضاري، وتوجّسنا الوجودي موجه إلى الغرب الاستعماري لا الإنساني. فالغرب الأول (غربُ لورا فاليري، وزيغريد هونكه، وهانس كونغ، وفان كونينسفيلد، وجون

إسبوزيتو، وكارن أرمسترونغ، وإنجمار كارسلون، وروجي غارودي وغيرهم كثير) تفاعل مع حقيقة الإسلام فاعترف بسماحته النادرة، أما الغرب الثاني (غربُ صموئيل هنتينغتون، وبرنارد لويس، ومارتن كريمر، وخيرت فيلدرز، وأوريانا فلاشي، وأيان هرشي علي وغيرهم كثير) فقد تعامل مع الإسلام بعقلية الحروب الصليبية لا بعقلية التنوير، فاستحال الإخاء عداء، والمساواة عنصرية، والحرية اضطهادا!

وبعد أكثر من عقدين من البحث الفكري الأكاديمي والانشغال الإعلامي والصحافي بثنائية الإسلام والغرب في مناسبات ولقاءات متنوعة وعبر كتابات وإصدارات متعددة، تُسنح لي اليوم الفرصة لأن أصوغ جمهرة من الأفكار حول قضية تؤرق الجميع، وهي ظاهرة الإسلاموفوبيا التي حُبّرت عنها الآلاف من الدراسات والبحوث والمقالات والأوراق في زمن قياسي. والغرض الجوهري من هذا العمل ليس توصيف هذه المسألة والقيام بجرد عام لمظاهرها ونوازلها، لأن فيما ألفه السابقون من كتب ومقالات وتقارير الكفاية، بل نسج مقاربة مغايرة نوعا ما تهدف إلى تفكيك ظاهرة الإسلاموفوبيا والتنقيب في جذورها النفسية والواقعية، ثم التشكيك في كون الخوف أحادي الاتجاه من الإسلام فقط كما يُروّجُ في الأدبيات السياسية والإعلامية المؤدلجة، بل متبادل بين الإسلام والغرب بشهادات ورؤى عدد من الفلاسفة والخبراء والباحثين الغربيين التي تعضّد فرضية هذا الكتاب. ولا نكتفي بهذا الجانب، بقدر ما نتعمّق أيضا في البدائل الممكنة أو الطرائق المسعفة على تبديد أسطورة الخوف هذه.

أخيرا وليس آخرا، لعل القارئ سوف يلاحظ أن السياق الهولندي (بما فيه الفلامانكي) يهيمن على بعض فصول الكتاب ومباحثه، ومرد ذلك بالدرجة الأولى إلى إحاطة الباحث الواسعة والدقيقة بالواقع الهولندي الذي انتظم فيه منذ أواخر تسعينيات القرن الماضي. والخبير هو من يركز على ما يعرف دون تجاوزه إلى ما لا يعرف، فيقترف من الزلات والهفوات ما قد يُخلّ بمجال معرفته. وقد رأينا كيف يركز الفيلسوف تزتيفان تودوروف على السياق الفرنسي الذي يفهمه، وكيف تقتصر الفيلسوفة مارتا نوسباوم على المجتمع الأمريكي الذي

تنتمي إليه، وكيف يلتصق مفكرون آخرون بالمجال التداولي الذي يحضنهم، دون الخوض في ما لا يفقهونه. بهذه الروح العلمية كُتبت أغلب فصول هذا المؤلف، غير أن هذه المقاربة على العموم لا تظل رهينة بالسياق الهولندي، بقدر ما تغطي آفاقا أوروبية وغربية أخرى لاستيعاب أهم ملامح الفوبيا المتبادلة بين الإسلام والغرب.

د. التجاني بولعوالي

خانت، بلجيكا في 15 يناير 2021

فهرس المحتويات

تم الطبع بمطابع أفريقيا الشرق 2021
159 مكرر، شارع يعقوب المنصور، الدار البيضاء
الهاتف : 05.22.25.95.04 / 05.22.25.98.13
الفاكس : 05.22.25.29.20 / 05.22.44.00.80
مكتب التصفيف الفني : 05.22.29.67.53/54
الفاكس: 05.22.48.38.72
الدار البيضاء